المحاضرة6: الموروث الحضاري القرطاجي

أولا/المصادر المادية والأدبية:

1 الكتابة الفينيقية:

-تعد الكتابة الفينيقية أول كتابة استخدم الإنسان فيها الحروف الهجائية؛ لهذا لا يختلف المؤرخون في كون الأبجدية التي ظهرت في المنطقة الكنعانية هي أعظم إسهام حضاري للبشرية؛ وفي المجال الفكري رغم اختراع الكتابة إلاّ أن الفينيقيين لم يخلفوا تراثا أدبيا كبيرا، ومع ذلك تعرف المختصون على نماذج من مخلفات الفكر الأدبي الفينيقي مثل: الملاحم الشعرية، الأناشيد.

-من أهم المؤثرات الفينيقية ببلاد المغرب القديم على العهد القرطاجي هو انتشار هذه اللغة بين اللوبيين خاصة في تونس حيث كان رهبان الكنائس إلى وقت متأخر من الحكم الروماني يلقون خطبهم بالفينيقية، كما استمرت هذه اللغة إلى جانب العبرانية والعربية واللاتينية والبربرية لغة التخاطب عدة قرون؛ وفيما يخص الأدب كمظهر من مظاهر الفكر فلم يعثر الباحثين على وجود الآداب القرطاجية، وبالنسبة للكتب التي كانت موجودة في المكتبات القرطاجية قبل تدميرها نجد: كتب الرحلات البحرية القرطاجية.

2/ الرحلات البحرية القرطاجية:

-رحلة هميلكون 450ق.م:

هو قائد عسكري وبحار مستكشف وشقيق حانون القرطاجي وردت أخبارحلته في قصيدة لاتينية للشاعر"فيستوس أفينوس" نقلها عن الكتاب الذين جاؤوا قبله، اتجهت الرحلة نحو شمال أوربا وانطلق فيها هميلكون من قرطاجة باتجاه قادس ليلتف حول شواطئ شبه الجزيرة الإيبيرية(اسبانيا والبرتغال)؛ ثمّ أبحر نحو الشمال بغية الوصول إلى جزر القصدير (والتعرف عليها وربط الصلة مع الذين كانوا يشرفون على استغلالها.

–رحلة حنون البحرية 425ق.م:

حانون القرطاجي هو ملك قرطاج وقائد عسكري وبحار مستكشف حكم قرطاج مابين عامي480 ق.م و440 ق.م؛ وحملت رحلته في طياتها تفاصيل استكشاف ساحل إفريقيا الغربي وجزر المحيط الأطلسي من ثروة نباتية وحيوانية ومنابع المياه والقبائل المستوطنة وقد دونت هذه الرحلة على لوح معدني من البرونز وضع في معبد"بعل حامون" بقرطاج وتعرض النص لبعض التلف عند تدمير قرطاجة سنة 146 ق.م؛ وقد أثمرت هذه الرحلة على إنشاء مستوطنات تجارية قرطاجية على سواحل غرب الأطلسي.

–موسوعة ماغون القرطاجي: ماغون هو قائد عسكري وعالم زراعي اهتم بالفلاحة بقرطاج وعاش حوالي القرن3ق.م وكتب موسوعة في الزراعة تتألف من ثمانية وعشرين كتابا ضاع معظمها ولم تبقى منها سوى فقرات تقدر بحوالي ستين فقرة وجدت عند بعض المؤرخين الاتين مثل: كولمال Columelle وفارو Farro تتضمن معلومات متنوعة عن الزراعة خاصة في الريف كطرق غرس الأشجار– الارض وصلاحيتها للزراعة– الظروف المناخية وتقلباتها–تربية الحيوانات وغيرها من التجارب الميدانية في هذا المجال.

ثانيا: المصادر الأثرية:

على الرغم من أنّ قرطاج دمرت على يد الرومان في القرن2 ق.م (146 ق.م)،إلاّ أن هناك العديد من المصادر الأثرية التي تُساعد على فهم تاريخها وحضارتها ومن أهم هذه المصادر نجد:

1/ المواقع الأثرية:

– قرطاج القديمة: المدينة هي نفسها مصدر رئيسي للعديد من الاكتشافات الأثرية وتضم مواقع مثل القصور– الحمامات– المعابد– الميناء، إذ تقدم معلومات عن العمارة عن الدين والحياة اليومية في قرطاج.

2/ التماثيل والمنحوتات:

حيث تم اكتشاف العديد من التماثيل التي تعبر عن الآلهة القرطاجية مثل: بعل حامون وتانيت وتعكس هذه التماثيل الدين والفن القرطاجي.

3/ النقوش والكتابات:

اكتشفت العديد من النقوش التي تظهر اللغة القرطاجية التي كانت تكتب باستخدام الأبجدية الفينيقية إذ تحتوي بعض النقوش على تفاصيل حول الأحداث التاريخية- أسماء الملوك- المعاهدات والاتفاقيات والمفاوضات بين قرطاج والدول الأخرى مثل: المعاهدات مع روما أو مصر.

4/ العملات القرطاجية والأواني الفخارية:

-حيث تم العثور على العديد من العملات المعدنية القرطاجية التي استعملت في القرن 5 ق.م أي حوالي 400ق.م واستمر استعمالها حتى سقوط قرطاج سنة 146 ق.م وكانت تحمل رموزا وصورا للملوك القرطاجيين وآلهتهم، كما أنّ العملات هي مصادر هامة لفهم التجارة والاقتصاد في قرطاج سكة من الذهب والفضة والبرونز.

-أما الأواني الفخارية التي تم اكتشافها في مختلف المواقع بقرطاج فتظهر نمط الحياة اليومية والتطور الفني في المدينة مثل: أواني الطهي والتخزين.

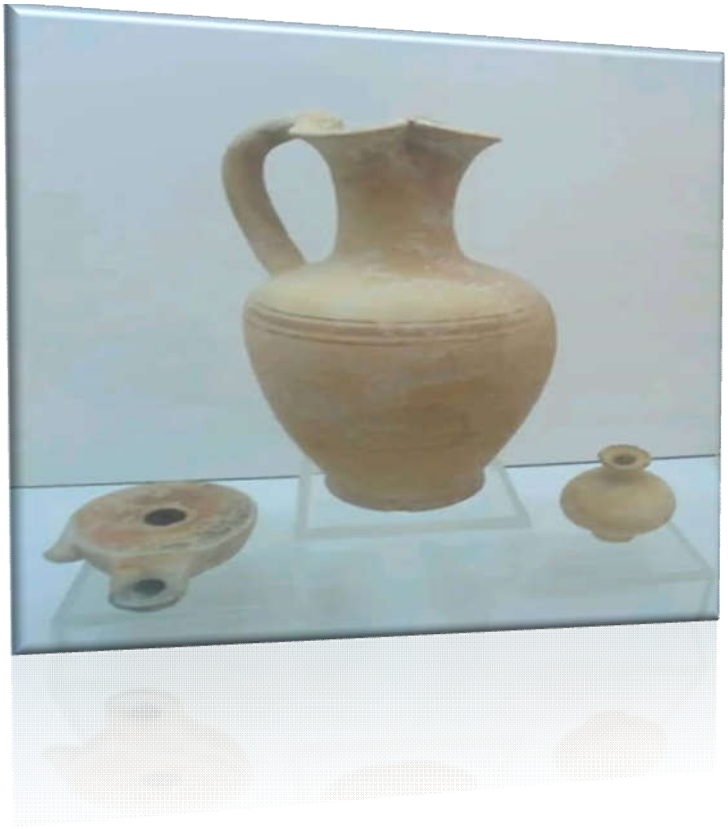

2/ الحياة الاقتصادية في قرطاج:

أولا: التجارة

إنّ المظهر الأبرز في اقتصاد قرطاج كان التجارة لأنها دولة بحرية بامتياز، امتلكت أسطولا تجاريا ضخما ربطها بمختلف مناطق البحر المتوسط من إسبانيا غربا إلى المشرق شرقا؛ كانت تصدر منتجاتها كالأقمشة ، منتجات غذائية كالعسل والتين، الزيت والملح. وتستورد ما تحتاجه من المعادن والاخشاب والعبيد والذهب والعاج.والبرونز والأحجار الكريمة.

تحكمت في طرق التجارة البحرية بفضل موقعها الجغرافي الاستراتيجي عند ملتقى الطرق البحرية بين أوربا وإفريقيا وتمكنت من ربط علاقات تجارية مع الليبيين والغاليين، والصقليين والإيبريين؛ واعتمدوا على المقايضة في بداية معاملاتهم التجارية وهو ما أشار إليه هيرودوت عن ما عرف ''بالمقايضة الخرساء''.حيث أن العملة لديهم لم تسك إلا مع القرن4 ق.م.

ثانيا: الصناعة

تنوعت الصناعات في قرطاج ومن ابرزها:

-صناعة السفن: بسبب حاجتها لأسطول تجاري قوي باعتبار أن قرطاجة أمة بحرية.

-صناعة المعادن: خاصة الأسلحة والأدوات الفلاحية.

-صناعة النسيج: خاصة الأقمشة المصبوغة بالأرجوان الفينيقي الغالي الثمن.

صناعة الزجاج والفخاروالخزف وصناعة الأثاث الجنائزي.

ثالثا: الزراعة

ازدهرت الزراعة بقرطاج خاصة في المناطق التي تمتاز بخصوبة أراضيها وتطورت أساليبهم الزراعية.

من اهم المزروعات نجد: القمح- الكروم(العنب)، الزيتون، إضافة إلى أشجار التين والرمان.وقد أعرب القائد الإغريقي''أغاثوكليس'' عن انبهاره بالضيعات الزراعية القرطاجية عندما وجه حملة إلى شمال إفريقيا بهدف القضاء على قرطاج سنة 310ق.م؛ اشتهر الفلاحون القرطاجيون بمهارتهم ومن أشهرهم: ماغون القرطاجي الذي ألف كتابا في الزراعة كان يُدرس لاحقا في روما.

3/ الحياة الاجتماعية في قرطاج:

1/التركيب الاجتماعي:

كانت قرطاج مدينة تجارية أرستقراطية يتكون مجتمعها من الطبقات التالية:

-الطبقة العليا: تتكون من القادة السياسيين والعسكريين ومن كبار التجار وأصحاب الأراضي وتسيطر على الشؤون العامة.

-الطبقة الوسطى: وتشمل التجار الصغار والحرفيين والبحارة.

-الطبقة الدنيا: وتضم العمال والفلاحين الذين كانوا يعملون في أراضي الأثرياء، وأيضا العبيد.

2/ مظاهر الحياة اليومية:

-الأسرة ومكانة المرأة: كانت الأسرة أساس المجتمع ولها طابع أبوي؛ وبالنسبة للمرأة تمتعت ببعض الحقوق مقارنة بمجتمعات أخرى قديمة حيث شاركت أحيانا في النشاط الاقتصادي والديني.

-التربية والتعليم: أولى الناس بقرطاج اهتماما كبيرا بتربية الأبناء وتعليمهم القراءة والكتابة باللغة الفينيقية والمهارات البحرية والتجارية؛ كما أولوا اهتماما كبيرا بالشباب من خلال تدريبهم على المجالين العسكري والتجاري.

4/ الحياة الدينية في قرطاج:

الآلهة:

كانت قرطاج تدين بالديانة الفينيقية ذات الطابع الكنعاني؛ من أبرز الآلهة: بعل حامون إله الخصب والزراعة والنار وكان يعتبر الإله الأعلى/ تانيت: الإلهة الأم رمز للخصب والحياة وغالبا ما تقترن ببعل حامون؛ كما وجدت آلهة أخرى مثلت آلهة وطنهم الأم فينيقيا حيث استمروا في عبادة بعض الآلهة: عشتار(إلهة الحب والجمال والحرب والتضحية وتعرف بعشتروت- ملقرت(إله مدينة صور)وكان يعتبر الإله الحامي للمدينة؛ كما عبد القرطاجيون آلهة دخيلة مثل: حورس- بنتاح وهي آلهة مصرية وديمتري وهي إلهة الحصاد والزراعة عند الإغريق.

المعابد والممارسات الدينية:

كان للدين حضور قوي في الحياة العامة والخاصة وقد أقيمت المعابد في قلب المدينة وبالمرتفعات، من أبرزها معبد بعل حامون ومعبد تانيت، وشيدت من الحجر الجيري بزخارف هندسية ورموز دينية؛ ولعب الكهنة دورا مهما في الجانب الديني حيث كانوا المسؤولين عن المعابد والشعائر وتنظيم الأعياد الدينية؛ وبالنسبة للطقوس الدينية اشتهر أهل قرطاج بطقوس القرابين والنذور للآلهة؛ وكانت المقابر تزين بالنقوش والرموز الدينية وتدفن مع الميت أدواته الشخصية ومقتنياته.

5/ الفنون في قرطاج:

أولا: العمارة في قرطاج : وتمثلت خاصة في العمارة الحضرية؛ (المدينة التخطيط والتنظيم والعمارة السكنية) وذلك كالتالي:

1- العمارة الحضرية:

كانت قرطاج مدينة منظمة تخطيطا وبناية؛ إذ بنيت على تلال مشرفة على البحر لتوفر الحماية والمراقبة؛ قسمت المدينة إلى مناطق: المدينة العليا: تضم المعابد والمباني الرسمية ومقرات الحكم/ المدينة السفلى: فيها المرافئ والأسواق والمنازل، واشتهرت قرطاج بمرفأيها الهامين: مرفأ تجاري كبير/ مرفأ عسكري دائري الشكل تُخزن فيه السفن وتصلح.

2- العمارة السكنية:

المنازل كانت تبنى من الحجارة والطين وغالبا ما تتكون من طابقين؛ تصميم البيت القرطاجي هو كالتالي: فناء داخلي(ساحة) تحيط به الغرف، مزود بنوافذ صغيرة لتقليل حرارة الشمس؛ بعض البيوت الفخمة كانت تُزين بالفسيفساء والرسوم الجدارية؛ وبالنسبة لنظام صرف المياه فكان متميز حيث يتم جمع مياه الامطار في خزانات.

3- المنشآت العامة:

أنشأ القرطاجيون الحمامات العامة والمسارح والخزانات المائية؛ استخدموا الأقواس والأقبية في البناء مما يدل على مهارتهم الهندسية.

طوروا نظاما متقدما لجلب المياه من العيون البعيدة مثل(خزان المعلة وقناة زغوان في العهد الاحق).

ثانيا: الفنون في قرطاج

وتمثلت خاصة في الفن الزخرفي والنحت والتماثيل والفخار والخزف والفسيفساء

وذلك كالتالي:

1- الفن الزخرفي:تميز بالدقة والرمزية، واستعملوا الرموز الدينية مثل: الشمس/ الهلال.

2- النحت والتماثيل: تأثروا بالفن المصري واليوناني في أسلوب النحت؛ التماثيل كانت تستعمل في المعابد والبيوت كرمز للعبادة والحماية.

3- الفخار والخزف: اشتهرت قرطاج بالفخار المزخرف ذي الألوان الحمراء والبنية؛ وكانت تزخرف بأشكال هندسية ونباتية وحيوانية.

4- الفسيفساء:ازدهرت بشكل خاص في الفترة البونية المتأخرة ثم الرومانية؛ واستخدمت لتزيين الأرضيات والجدران بالرسوم.